فوائد حول وصايا النبي إلى معاذ بن جبل في رحلته إلى اليمن

الثلاثاء 20 يناير 2015 12:01 م

بقلم - أحمد عبدالقادر :

عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال:" قال رسُولُ اللَّهِ لِمُعَاذِ بن جَبَلٍ حين بَعَثَهُ إلى الْيَمَنِ إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فإذا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إلى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لك بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قد فَرَضَ عليهم خَمْسَ صَلَوَاتٍ في كل يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لك بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قد فَرَضَ عليهم صَدَقَةً تُؤْخَذُ من أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ على فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لك بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فإنه ليس بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ".

ما وراء النص من فوائد:

1. المعرفة والخبرة بالواقع أهم من العلم والتحصيل فقد أكون عالما بالدين جاهلا بفقه الواقع فلا انجح في دعوتي ولا بالبيئة المرتحل إليها

2. الإنصات التام والاستماع الجيد ، والوعي بالمرحلة والأرض للسابق في الدعوة والعالم بضروبها المطلع على ملابساتها أساس في الدعوة ونجاحها

3. لم يقتصر النبي على علم معاذ وبراعته وإحاطته بالحلال والحرام فالمنصرف إليه لا ينشغل بكل ما يعلمه معاذ، بل ينشغل معاذ هو بما لا بد أن يفقهه ليوظف ما عنده في أرض الاغتراب

4. معالم في الفهم:أرض أهل الكتاب تختلف عن غيرها فعندهم(شريعة ـ ومقدسات ـ وعقائد ـ وأفكار ـ وموروثات ـ وفهم وثقافة) أبعاد إن لم تراعى لا ننجح

5. ترتيب الأولويات دون التقيد بزمن أو استعجال النتيجة أمر ضروري لفهم وتوصيل وثبات الأتباع، وإلا ستكون المهمة شاقة والنتيجة موهومة

6 ـ التدرج المبني على الاطمئنان المسبق على ما تم، والفطنة لروعة إقرار هذا المنهج المعروف نتيجته

7. عدم الانشغال بالشبهات أو العقبات أو المثيرات مع وقوعها لم يتطرق النبي لها، وفي ذلك فوائد:
- عدم كثرة النصائح والتحدث بها لمعاذ فقد يغيب عنه بعض من النصيحة الاهتمام بالقضية الأساسية وعدم الانشغال بالفروع
- ترك باب الاجتهاد للعامل والداعية في الملامات وهذا اقره معاذ في حديث آخر حيث قال:اجتهد رأي ولا ألو
- تنوع الشبهات وكثرتها واختراعها قد يجعل الكلام فيها مسبقا نوع من الهزيمة المقدمة والحمل الثقيل على صاحب الدعوة

8. الثوابت هو أهم ما يشغل النبي والمشتركات هي الأساس قدم الأصل ولا تنشغل بالفروع، وما لم يفتح اليوم قد يفتح لك غداً

9. استدعاء الهمة واستحضرها في قوله: " ستأتي " يتبعها يقظة ، اهتمام ـ استفراغ جهد ـ بصيرة ـ همة عالية ـ جمع للأسباب

10. الفاء التعقيبية في الحديث مهمة جدا في عدم التواني والتباطؤ في الاهتمام وعدم التراخي في المهمة

11. الأصل في الدعوة الناجحة هو الاحتكاك المباشر والوقوف على المفارقات لا التنظيرات والأوهام مدلول الحديث يشمله احتكاك مباشر

ميداني على أرض الواقع

12ـ الناس متفاوتون في درجات المعرفة تفاوتا بعيدا ولا ريب أن هذه المعرفة ليست كمعرفة المهاجرين والأنصار فهم ابن القيم في مدارج السالكين

13ـ لا يتمتع بالثروات إلا أهل البلاد، ولا تنتقل إلا بين مواطنيها، هدف نبيل، صدق في الدعوة ـ دعوة للرخاء والازدهار للبلد ـ جمال التعايش ـ إقرار الوفاء "

14ـ من عوامل الثمرة الناجحة للداعية عدم التطلع والاستشراف لا للماديات فحسب ولكن لكرائم الأموال فقدم الأعلى والنفيس في عدم التطلع إليه ليكون ما وراءه من باب الأولى

15ـ من أنواع الفقه في الحديث:" فقه الواقع ـ فقه الأولويات ـ فقه الموازنات ـ فقه التدرج ـ فقه المقاصد ـ فقه التعامل ـ فقه الاستيعاب ، وغيره"

16ـ اختيار اليمن له مدلوله الخاص في الطبيعة البشرية والبيئية عين رسول الله على البلاد حوله وإلمامه بطبيعة الشعوب، واختيار الأقرب فالأقرب في الدعوة والتعريف

17ـ الدعوة بين جناحي النجاح والفشل أمر طبيعي فلا تحكم مسبقا بفشلها فتقعد، وتفتر ، ولا تحكم بنجاحها مسبقا فتتكل وتغر مدلول:" فإن هم أطاعوا لذلك في الحديث"

18ـ العدل من أساسيات الدعوة والحكم، والمتطلعُ إليه لجذب الانتباه وتبني الأفكار والمعتقد ، وأكثر ما يشغل الناس لتعريفهم بالإسلام

19ـ لا تظن أسبقيتك في الدعوة أو مكانتك العلمية أو خبرتك الميدانية مسوغا لنسيان الثوابت أو تغافل الأصول ولذلك ختم النبي بأمر دعوة المظلوم لتكون أكثر ما يتعلق في الذهن آخر ما يوصى به

20ـ حصر النبي الكلام على الصلاة والزكاة بعد الدخول في الإسلام، دون التطرق لبقية الفرائض، إما تأكيدا لمنهج القرآن بكثرة ذكرهما. أو لكونها لا يسقطان عند وجوبهما بخلاف غيرهما ـ أو من باب الاهتمام بقضية التدرج ـ أو إظهار الوصية الأولى وبيان أهدافها فإذا حققت النجاح أتبعها النبي بمراسلات إلى معاذ بما يأتي بعد ذلك، أو بيان أن الإسلام لا يحمل أتباعه عليه كاملا في بداية دعوتهم بل رويدا رويدا ، أو مخافة أن يستعجل معاذ في الثلاثة الأول لإدراك الرابعة والخامسة ، أو لعله أرسله في موعد بعيد عن زمانهما فلا يلزم إشغال الناس بهما الآن ...الخ "

21ـ رقة القول واختيار الأسلوب من أهم ما يشغل الداعية

22ـ دائما سفراء الرسول شباب الأمة (حركة ـ صحوة ـ إمكانيات ـ قدرات ـ همة ـ أمل ـ عطاء .... وعوامل أخر في النجاح "

23ـ قال:" واتق " ولم يقل واحذر للكلمة مدلول وغاية فالتقوى هي استفراغ الجهد والسعة في الوصول إلى الغاية ليكون المعنى اجعل الأمر نصب عينيك دائما

24ـ أخوف ما يخاف على الداعية هو انفتاحه على الدنيا أو تحول مساره إلى مغرياتها عندها سيفقد مصدقيته وتتحول همته وتقزم دعوته وتأثيره ، وينجح داعي الشر في مقابله لإفساد ما بناه

25ـ الالتفات من الكلام عن الدعوة والمدعو إلى الكلام للداعية هو ذاك المزيج الرائع في توصيل المراد دون وغارة الصدر أو فقد التوازن

26ـ الوصية تبدأ بالدعوة وتنتهي بالداعية (فهم ـ إبصار ـ تكليف) لن تنج في الأولى إذا لم تلتزم بالثانية

27ـ في قوله : "حين بعثه إلى اليمن " وصية على سلم الطائرة لتكون أخر ما يتعلق بالذهن، وليفهم منه عظم التكليف المرسل فيه ،وليحفظ المراد ، وليبقى على العهد

28ـ في قوله : " وأن محمداً رسول الله " تكلم عن نفسه كأنه شخص آخر يفهم من وراءه معنى الرسالة في خلد النبي ـ وأساس في الإقتداء ـ وأدب في الحوار ـ ونقل للفظ المتواتر ـ وتعظيم للرسالة ".

29ـ مدلولا : "من، وعلى " في قوله " من أغنيائهم على فقرائهم" ، بيان عدم الطمع ولا الجباية للأموال من كل الناس بل التبعيض لمن بلغ الواجب فالأخذ ليس هو الهدف الأسمى ولا الحرص التام بخلاف "على " لبيان الشمولية في العطاء واستقصاء الأفراد والاهتمام بالفئة الغالبة في المجتمع واستمالة للبذل

30ـ الله لا يرضى بالظلم حتى وإن كان كافر ورد الظلم واقع من الله للبشرية جميعا فالمظلوم لم يحدد لا جنسه ولا نوعه ولا دينه ، ولا مذهبه ، مبدأ عام للبشرية أعدل وأنصف وأخش دعوة لمظلوم ولو كان كافراً والله أعلم